ينبه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام وأنه خلق منه زوجته حواء ثم انتشر الناس منهما كما قال تعالى : { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند ا أتقاكم } وقال تعالى : { يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها } الاية وقال في هذا الاية الكريمة { وجعل منها زوجها ليسكن إليها } أي ليألفها ويسكن بها كقوله تعالى : { ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة } فلا ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه { فلما تغشاها } أي وطئها { حملت حملا خفيفا } وذلك أول الحمل لا تجد المرأة له ألما إنما هي النطفة ثم العلقة ثم المضغة .

وقوله { فمرت به } قال مجاهد : استمرت بحمله وروي عن الحسن وإبراهيم النخعي والسدي نحوه وقال ميمون بن مهران عن أبيه : استخفته وقال أيوب : سألت الحسن عن قوله { فمرت به } قال : لو كنت رجلا عربيا لعرفت ما هي إنما هي فاستمرت به وقال قتادة { فمرت به } استبان حملها وقال ابن جرير : معناه استمرت بالماء قامت به وقعدت وقال العوفي عن ابن عباس : استمرت به فشكت أحملت أم لا ؟ { فلما أثقلت } أي صارت ذات ثقل بحملها وقال السدي : كبر الولد في بطنها { دعوا ا ربهما لئن آتيتنا صالحا } أي بشرا سويا كما قال الضحاك عن ابن عباس : أشفقا أن يكون بهيمة وكذلك قال أبو البختري وأبو مالك : أشفقا أن لا يكون إنسانا .

وقال الحسن البصري : لئن آتيتنا غلاما { لنكونن من الشاكرين * فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى ا عما يشركون } يذكر المفسرون ههنا آثارا وأحاديث سأوردها وأبين ما فيها ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك إن شاء ا وبه الثقة قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا عبد الصمد : حدثنا عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى ا عليه وسلّم قال [لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال : سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره] وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به ورواه الترمذي في تفسير هذه الاية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد به وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعا ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعا .

وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن عمر بن إبراهيم مرفوعا قلت : وشاذ هو هلال وشاذ لقبه والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه (أحدها) أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري وقد وثقه ابن معين ولكن قال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا فا أعلم (الثاني) أنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعا كما قال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه حدثنا بكر بن عبد ا بن سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال : سمى آدم ابنه عبد الحارث (الثالث) أن الحسن نفسه فسر الاية بغير هذا فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه قال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن { جعلا له شركاء فيما آتاهما } قال : كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم .

وحدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال : قال الحسن : عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده يعني { جعلا له شركاء فيما آتاهما } وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال : كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم ا أولادا فهودوا ونصروا وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن Bه أنه فسر الاية بذلك وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الاية ولو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم لما عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما مع تقواه وورعه فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء ا إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع وا أعلم .

فأما الاثار فقال محمد بن إسحاق بن يسار عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كانت حواء تلد لادم عليه السلام أولادا فيعبدهم ويسميهم عبد ا وعبيد ا ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاهما إبليس فقال : إنكما لو سميتماه بغير الذي تسميانه به لعاش قال : فولدت له رجلا فسماه عبد الحارث ففيه أنزل ا يقول { هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا ا ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين * فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما } إلى آخر الاية وقال العوفي عن ابن عباس قوله في آدم { هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به } شكت أحملت أم لا ؟ { فلما أثقلت دعوا ا ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين } فأتاهما الشيطان فقال : هل تدريان ما يولد لكم ؟ أم هل تدريان ما يكون أبهيمة أم لا ؟ وزين لهما الباطل إنه غوي

مبين وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا فقال لهما الشيطان : إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سويا ومات كما مات الأول فسميا ولدهما عبد الحارث فذلك قول ا تعالى : { فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما } الاية .

وقال عبد ا بن المبارك عن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله { فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما } قال : قال ا تعالى : { هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها } آدم { حملت } فأتاهما إبليس لعنه ا فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني إبل فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما فسمياه عبد الحارث فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت الثانية فأتاهما أيضا فقال : أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت لتفعلن أو لأفعلن ـ يخوفهما ـ فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضا فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى : { جعلا له شركاء فيما آتاهما } رواه ابن أبي حاتم .

وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة وكأنه ـ وا أعلم ـ أصله مأخوذ من أهل الكتاب فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب كما رواه ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد يعني ابن بشير عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال : لما حملت حواء أتاها الشيطان فقال لها : أتطيعيني ويسلم لك ولدك سميه عبد الحارث فلم تفعل فولد فمات ثم حملت فقال لها مثل ذلك فلم تفعل ثم حملت الثالثة فجاءها فقال : إن تطيعيني يسلم وإلا فإنه يكون بهيمة فهيبهما فأطاعا .

وهذه الاثار يظهر عليها ـ وا أعلم ـ أنها من آثار أهل الكتاب وقد صح الحديث عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم أنه قال [إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم] ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب ا أو سنة رسوله ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضا ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام [حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج] وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله [فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم] وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري C في هذا وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس كقوله { ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح } الاية ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها

السماء ليست هي التي يرمى بها وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها ولهذا نظائر في القرآن وا أعلم